(كتب الطقوس) يحقُّ ان نذكر من هذا القبيل ثافورًا وضعهُ ابن العبري كرُتبة للقداس نقلهُ رينودوت الشهير الى اللاتينية فطبعهُ في مجموع ليتورجيات المشرق (Renaudotii, *Liturgiarum Orient. Collectio*, II, 456)

وفي هذا الباب يدخل تهذيبهُ للثافور المعروف بالكنيسة السريانية بثافور القديس يعقوب الرسول الملقَّب باخي الربّ طبعهُ رينودوت في كتابه المذكور (الجزء الثاني ص ١٢٦)

وقد هذَّب ايضًا ابن العبري كتاب رتبة المعموديَّة لساويرس اوّل بطاركة اليعاقبة (ستأتي البقية)

التنوير

للاب موريس كرلجت اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٤

في غاز الفحم الحجري

سبق لنا القول في أدوات التنوير الجامدة والمائعة (ص ٤٥٠) ومدار كلامنا اليوم على الغاز المُستخلَص من الفحم الحجري (gaz de Houille)

لا يجهلُ الناس منذ زمن قديم ان الفحم المعدنيّ يتصاعد منهُ أبخرة تُدعى غازات قابلة الالتهاب. وربَّما كانت هذه الابخرة كثيفة جدًّا في بعض الامكنة حتَّى اذا غُرز في الارض انبوبٌ مثقوبُ الطرفين وأُدنيَ من الطرف الاعلى لهيبُ نار سطع منهُ نورٌ يمكن الاستصباح بهِ والاستدفاء بحرارتهِ

وانَّما اليوم يُستخرج الغاز بتقطير الفحم الحجري على اليُبس. فالفرق بين موادّ الوَقُود الموصوفة سابقًا والغاز الحجري الذي نحن في صددهِ أنَّ في الشمع والزيت والبترول يتحلَّل الغاز بواسطة الحرارة الناتجة عن اتّقاد جسم جامد او جسم مائع. امَّا الغاز الحجري فكيفية استعمالهِ بأنْ يُجمع ما يَخرُج منهُ بالتقطير في المعامل الخاصَّة ويُصمد في اساطين ضخمة او قِرَع واسعة ثم يوزَّع على الزُّبن والمشترين بهيئة تُجار يجري الى بيوت الخواصّ في انابيب (قساطل) ممدودة تحت الارض

ومعدّل ما يُستخلص من الغاز من مائة كيلوغرام فحم معدني يبلغ نحو ثلاثة وعشرين الى ثلاثة وثلاثين متر مكعّب على اختلاف جودة الفحم وغناهُ بالموادّ الملتهبة. ويتركّب هذا الغاز في الغالب من مزيج الهيدروجين مع كربورات الهيدروجين ليس الّا

هذا وانّ بتقطير الفحم المعدني لا يُنال فقط غاز الوَقود المذكور آنفاً بل يُظفر ايضاً على عدّة محصولات ثانويّة. واوّل ذلك مادّة ترسب في قعر الانابيق تدعى كوك (coke) تُعَدّ من افضل اصناف المُوقدات. ويحصل في الاوعية المختلفة التي يَمُرّ بها الغاز ليُصفّى مياهُ النوشادر وهي تصلح للتسميد في الزراعة. ويتكوّن فيها القطران. والقطران اذا قُطّر اتى بالغاز الصناعيّ (brai) والبَزين والحامض الفنيقي والأنيلين والنفثلين والأنثراسين الى غير ذلك من محصولات القطران المتخذة في الصناعة لتركيب الالوان. فيظهر ممّا تقدّم ان تهيئة الغاز كثيرة الارباح لاجل هذه الفوائد الثانويّة الناتجة عنهُ

والغاز المصفّى يُخزَن نهاراً في اوعية واسعة على شكل اجراس تغطس في احواض مملوءة من الماء فيوزّع من ثمّ على الجمهور بضغطٍ معلوم. واذا ما دخل الغاز في بيوت الخواصّ اجتاز في اداةٍ تُدعى راقماً تُدوّن بالتدقيق كم مرّ فيها من متر مكعّب واقسام المتر فيُعرف بذلك ما يجب على المشتري دفعه لصاحب الغاز سواء كان اتخاذهُ للاستصباح او للاصطلاء او للطبخ

هذا وانّ رؤوس الانابيب التي يُشعل بها الغاز تكون معدنيّة او من الخزف الصينيّ او من الستياتيت وهو صنف من الطلق (talk) المعدني المركّب من الصوّان والمغنيسيا. وخاز الغاز هو اما ثقبٌ بسيط واما شقّ ويسمّى لشكلهِ الرأسَ الفراشي (bec papillon). وربّما انتهى المخرج بعدّة ثقوب مستديرة على شكل الاكليل في مركزها مجرًى للهواء. وهي الرؤوس المعروفة بالبَنجل (bec Bengel) يكثر استعمالها في الفُرَف ويجهّز لذلك مداخن من الزجاج. وما عدا هذه الرؤوس الساذجة الشكل يوجد مصابيح أُخر في تركيبها بعض ارتباك لكنّها ساطعة النور فمن ذلك المصابيح

مصباح ڤنهام

التي سبق وصفها في آخر مقالتنا عن البترول كمصباح سيمنس (Siemens) او مصباح فنهام (Wenham انظر شكلها في الصفحة السابقة) الخ. ففي هذه القناديل يُسخَّن اوّلاً الهواء اللازم للاتّقاد في انابيب مجاورة للرأس. والانبوب فيها يسطع من تحت المصباح فاذا عُلّق القنديل لا يبقى لهُ ظلّ. وفي غيرها من المصابيح كمصباح دنيروس (Denayrouse) مثلاً يُمزج سابقًا الهواء والغاز معًا فينتج من هذا الاختلاط تسارٍ واشتداد في سطوع اللهب

واعلم انَّ ضوء غاز الفحم المعدنيّ يضرب الى الحُمرة فان حُلّ بالطيف الشمسيّ وُجدت هذه المناسبة بين احمراره وصفرته:

$$\frac{\text{الاحمر}}{\text{الاصفر}} = \frac{٦}{١}$$

واذا قستَ شدَّة سطوع نور الغاز وجدت انَّ معدّلها في ما يُوقد مدَّة ساعة من الغاز البالغ ١٠٥ ليترات يوازي مصباحًا من مصابيح كرسل المثاليَّة (راجع الصفحة ١٨٤). الّا انَّ هذه الشدَّة تختلف على حسب اختلاف رسمة الثقب. فانَّ الرأس الفراشيّ المذكور سابقًا ربَّما بلغت شدَّة سطوعهِ الى ان توازي مصباحًا مثاليًّا ونصف مصباح او ثلاثة ارباع المصباح وذلك باتّقاد ١٢٧ ليترًا الى ٢٠٠ ليتر. واقلُّ ما يَنبعث ذلك من اقيسة الحرارة ٦٦٠ قياسًا (راجع الصفحة ٢٤٣). امَّا الحامض الكربونيك الناتج عن هذا الاتّقاد فيبلغ ٨٤ ليترًا اي اكثر ممَّا يُخرج من رئة اربعة اشخاص بالتنفُّس اليوميّ

واذا اعتبرتَ ثمن الغاز على ما هو الآن من السعر الشائع اعني ثلاثين سنتيمًا في حقّ متر مكعَّب وجدت انَّ ما يوازي منهُ مصباح كرسل القياسي في الساعة يساوي اربعة سنتيمات. ثمَّ اعلم انَّ الرأس الفراشيّ حسنُ لتنوير العامَّة لكنهُ لا يصلح للدَّرس لتوجيج لهيبهِ وأصلح ما يُتَّخذ لتنوير الحُجَر مصباح بَجْل فانَّ ضوءهُ يوازي مصباحًا مثاليًّا في ١٠٥ ليترات. واقيسة حرارتهِ ٥٤٦ ينبعث منها ٧١ ليترًا من الحامض الكربونيك وثمنهُ ٣ سنتيمات في مقابلة مصباح مقياسي ذو ضوء الساعة. وقد وُضع لتنوير الجمهور مصابيح ذات رؤس مختلفة منها الرأس الباريزي (bec Parisien) والكرومارتي (Cromartie) والصناعي (l'Industriel) وكلّها شدَّة عظيمة في سطوعها تبلغ من خمسة مصابيح الى عشرين مصباحًا مثاليًّا مع قلَّة ما يُفنى بها من الغاز حتَّى لا يتجاوز ٣٥ ليترًا بمقابلة الكرسل ذي ضوء الساعة. فيكون ثمن الغاز في الساعة سنتيمًا او سنتيمًا ونصفًا فقط. وللمصابيح المسخَّنة

الهواء الموصوفة آنفاً كمصباح ڤنهام (Wenham) اسعارٌ ارخص ايضاً فانها لا تنفق في الساعة اكثر من ٣٠ الى خمسين ليتراً من الغاز مع انَّ سطوع نورها يرتقي من خمسة مصابيح الى ١٢ مصباحاً مقياسيًّا تبلغ اقيسة حرارتها ٢٠٠ قياساً وحامضيا الكربونيك ٣٠ ليتراً وثمنها لا يكاد يبلغ سنتيماً في مقابلة مصباح كرسل ذي ضوء الساعة

ونتيجة ما سبق شرحهُ انَّ غاز الفحم المعدني من احسن ادوات الاستصباح وانسبها مع هوادة اسعاره . فضلاً عن انَّهُ لا يحتاج الى فتيلة ولا الى تعمير يكفي لاستعمالهِ برم مفتاح حنفيَّة فيطلع نورهُ . ومن مضارهِ ارتفاع درجة الحرارة في معاهد الدروس

هذا ومما يجدر بالملاحظة انَّ امتزاج الغاز بالهواء يحصل منهُ مزيج قابل الانفجار وانَّهُ لأمرٌ خطر ان توقد ثقاب الكبريت في حجرة لم يُقفل مجرى غازها . ويمكن تلافي هذا الخطر باشتمام رائحة الغاز المنبعث فاذا حسَّ بهِ الداخل في الخدع فليفتح نوافذ الدار لتغيير الهواء قبل ان يشعل الضوء

التَّشَعْشُع بواسطة الغاز

لقد بلغ التنوير بالغاز في هذه السنين الاخيرة غايةً جاوزت آمال العلماء وكلُّ هذه التحسُّنات انما اصابها ارباب الصنائع باستنادهم الى هذا المبدإ الذي مرجعهُ الى ان تُوقد المواد الهيدروجينيَّة الكحيَّة (substances hydrocarburées) الداخلة في تركيب الغاز ايقادًا تامًّا فتتَّخذ الحرارة العظيمة المتأتية من ذلك لإضرام بعض اجرام اوكسيديَّة تُعدّ لهذه الغاية فيحصل منها تشعشُع (incandescence) إذا التهبت

وعليهِ قد أكثر بعضُ العلماء كأدسون ودرومند وكلامند اختباراتهم لنوال هذه الغاية فكانت نتيجتها انَّ بلغ الدكتور أور فون ڤلسباخ (Auer von Welsbach) الى وضع غلاف دُعي باسمهِ يُجهَّز برأس انبوب الغاز فيحصل من ذلك نورٌ بهيٌّ ساطع يُقضى من نظرهِ العجب (انظر الصورة في ص ١٥٨)

وتركيب غلاف الدكتور أور من مزيج أوكسيدين اسمها الثوريوم (thorium) والسيريوم (cérium) يدخل من الاوَّل تسعة وتسعون قسماً بمقابلة قسم واحد من الثاني وهذان الاوكسيدان هما ركنا تشعشع التوريد انهما عزيزا الوجود يُستخلصان في الغالب من ثلاثة معادن الثوريت والمونازيت والزيرقون

فالتوريت (la thorite) جرمٌ مركَّب من مزيج الصوَّان والهيدروجين والاوكسجين

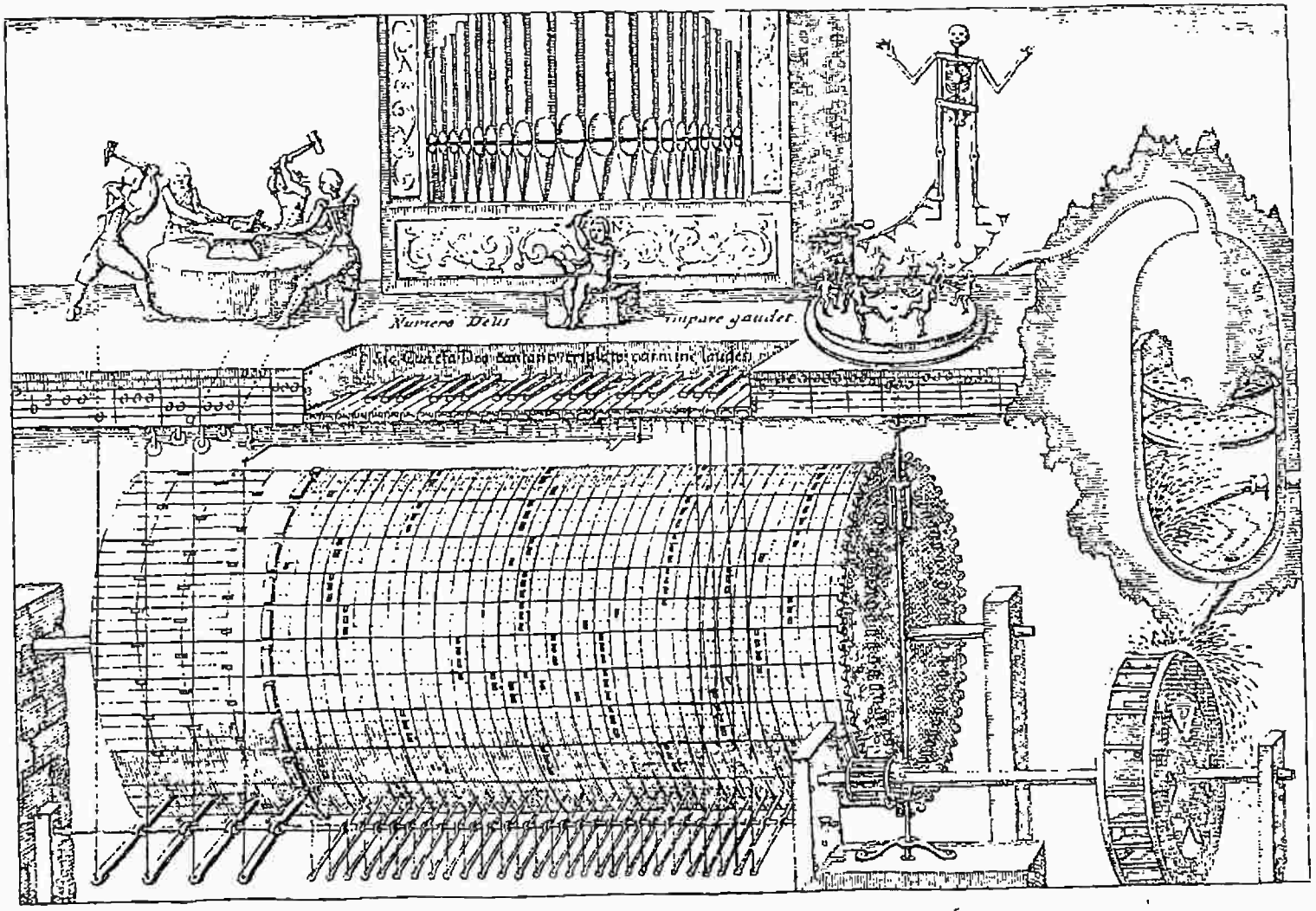

آلة زمرية نشرها الاب اثناس كرخر اليسوعي سنة ١٦٥٠ وهي تشبه آلة الزمر التي وصفها بنو موسى بن شاكر

فِيهَا غَيْرَ صَافِيَةِ الصَّوْتِ مِنْ كَثَافَتِهِ وَالْتِفَافِهِ، وَيُزْعَمُ الزَّهْرُ[1] اكْمَامُهُ وَجَمْعُهُ الْبَرَاعِيمُ وَاكْمَامُهُ غُلْفُهُ، وَيُقَالُ عِنْدَ ذٰلِكَ: قَدْ اخْذَ النَّبْتُ زُخَارِفَهُ وَزُخْرُفَهُ[2] وَقَدْ انْقَى بِبَهْجَتِهِ، وَيُقَالُ اقْطَرَ وَاقْطَرَّ اقْطِرَارًا وَاقْطَارَّ[3] ايضًا اذَا تَهَيَّأَ (النَّبْتُ) لِلْيَبْسِ، فَاذَا يَبِسَ قِيلَ قَدْ تَصَوَّحَ تَصَوُّحًا وَانْصَاحَ انْصِيَاحًا[4]، فَاذَا تَمَّ يُبْسُهُ قِيلَ: قَدْ هَاجَتِ الْاَرْضُ تَهِيجُ هِيَاجًا وَهَيْجًا وَهَيَجَانًا[5]، فَاذَا تَمَّ يُبْسُهُ مِنْ اَحْرَارِ الْبُقُولِ وَذُكُورِهَا قِيلَ لَهُ الْيَبْسُ وَالْيَبِيسُ، وَهُوَ الْجَفِيفُ وَالْجَفُّ، وَالْتَّقِيفُ وَالْقَفُّ[6]. وَقَالَ الرَّاجِزُ:

صَافَتْ يَبِيسًا وَقَفِينًا تَلْهَمُهْ وَثَرَّ عَائِنٍ وَجِبًّا اَسْحَمُهْ (٧

وَقَالَ الْآخَرُ:

كَاَنَّ صَوْتَ خَلْفِهَا وَالْخَلْفِ كَسْحَفِ اَفْنَى فِي يَبِيسٍ قَفِّ (٨

---

١) جاء في الاصل: البُرْغم وهو تصحيف. والبُرْغم والبُرْغوم والبُرْغومة كلُّهُ كُمُّ ثمر الشجر

٢) الزُّخرف زينة الارض. ومنهُ قولهُ: اذا اخذت الارض زُخْرُفَها اي زينتها بالنبات وقيل تمامها وكمالها

٣) ورد في اللسان: اقطارَّ النبتُ اي انتى واعوجَّ ثمَّ هاج. وقيل أقْطَرَ النبتُ واقطارَّ ولى واخذ يجفُّ

٤) وفي الاصل: تَضَوَّجَ تَضَوُّجًا وانْضَاجَ. وكلُّهُ تصحيف. وقيل تصوَّح البقلُ اذا تمَّ يُبْسُهُ

٥) يقال ماج البقلُ فهو هائج وهَيْج اذا يبس واصفرَّ. وماجت الارضُ فهي هائجة يبسَ بقلها

٦) نقل في اللسان عن الاصمعي: قفَّ الشبُّ اذا اشتدَّ يُبْسُهُ

٧) وفي اللسان: تَلْهَمُهُ وهو الصواب. يصف بقرةً وحشيَّة اصابت كلأً ترعاهُ. والمصافاة هنا الملازمة. وقولهُ: (ثَرَّ عائن) اي عشبًا كثيرًا مجموعًا من عامين. والجبُّ الاسم المسودّ ليُبْسِهِ. وفي الاصل: اجمهُ بالجيم. وهو غلط

٨) الخِلْف الضَّرع. يصف شاةً يقول انَّ صوت خلفيها عند اصطكاكهما كصوت افنى لما تسير في يبيس الكلإ

(وَيُقَالُ سَحَفَتْ تَسْحِفُ إِذَا حَكَّتْ جِلْدَهَا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ) ، فَإِذَا أَصَابَ الْمَطَرُ الْكَلَأَ قِيلَ : كَلَأُ بَنِي فُلَانٍ مَغِيثٌ (يُرَادُ بِهِ مَغْيُوثٌ[1]) ، فَإِذَا تَكَسَّرَ الْيَبْسُ[2] فَهُوَ الْحُطَامُ . وَهُوَ الْهَشِيمُ[3] . قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

يَتْبَعُ أَوْضَاحًا بِسُرَّةِ يَذْبُلٍ وَيَرْعَى هَشِيمًا مِنْ مُلَيْحَةَ بَالِيًا[4]

(وَالْأَوْضَاحُ بَقَايَا الْحَلْيِ وَالصِّلْيَانِ[5] لَا تَكُونُ[6] إِلَّا مِنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا كَثُرَ وَرَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَهُوَ الْثِّنُّ يُقَالُ فِي أَرْضِ بَنِي فُلَانٍ ثِنٌّ كَثِيرٌ يَكْفِيهِمْ سَنَتَهُمْ . (قَالَ) وَالْثِّنُّ يَبْسُ الْحَلْيِ وَالْبُهْمَى . قَالَ الرَّاجِزُ :

إِنْ يَتْمَنِي الْتَّائِنُونَ لَا تَمْنِينِي يَكْفِي اللَّبُونَ أَكْلُهُ مِنْ ثِنِّ[7]

وَقَالَ الْحَنَفِيُّ :

كَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ أَصَابَ غِنًى وَاحْتَلَّ بَعْدَ الْجَدْبِ فِي ثِنِّ[8]

---

١) جاء في اللسان : الغيث الكلأ والمطر . وغيثت الارضُ تُغَاثُ غَيْثًا فهي مَغيثة ومَغيوثة اصابها الغيثُ

٢) اي يبيسُ البقل

٣) الهشيم النبتُ اليابس المتكسر

٤) يتبع تخفيف يَتَّبِع . ومُلَيحة موضع . ورواية اللسان : « تَتَبَّعُ ... وترعى هشيماً من مُلَيْحَة » . (قال) مُلَيْحَة على لفظ التصغير موضع . يصف الشاعر ابلاً يقول انها ترعى في هذه الاماكن . والاوضاح جمع وَضَح هو ضرب من الكلإ . وسُرَّة يذبُل افضل اماكنه . ويذبل اسم جبل في الحجاز

٥) سيأتي ذكر الحليّ والصلّيان في الفصول التالية . وفي الاصل : الصلبان وهو تصحيف

٦) في الاصل : لا يكونا

٧) اللَّبُون محبُّ اللبن . لمّ الراجز يهجو امرأة فيقول لها انّهُ يستغني بكثرة مَن يمتص ماشته عند وفاتهِ عن حنينها اي شدّة بكائها . وقد روى في اللسان عن ثعلب هذه الابيات الباطليّ :

يا ايها الفَصِيلُ ذا المُعَنِّي انَّك دَرْمَانٌ فَصَمَّتْ عَنِّي
تكفي اللقوحَ أَكْلَةٌ من ثِنِّ ولم تكن آثرَ عندي مني
ولم تَقُمْ في المَأْتَمِ المُرِنِّ

(قال) يقول اذا شرب الاضيافُ لبنها علفها الثِّنَّ فعاد لبنُها . وَصَمَتَ اي أَصْمَتَ

٨) ضرب الثِّنّ مثلاً للخصب وسعة العيش

وَكَذٰلِكَ يُقَالُ : اَرْضٌ مُوشِجَةٌ وَكَلَأٌ وَشِيجٌ بَيِّنُ الْوِئَاجَةِ اِذَا كَثُرَ كَلَأُهَا وَجَبَّتْهَا . وَمَا كَانَ مِنَ النَّبْتِ لَهُ حَبٌّ فَاسْمُ ذٰلِكَ الْحَبِّ الْحَبَّةُ . يُقَالُ : اَلْاِبِلُ فِي حَبَّةٍ مَا شَاءَتْ . قَالَ اَبُو النَّجْمِ :

فِي حَبَّةٍ جَرْفٍ وَحَمْضٍ هَيْكَلِ (١

(اَلْجَرْفُ الْكَثِيرُ وَالْهَيْكَلُ الضَّخْمُ)، فَاِذَا اَسْوَدَّ النَّبْتُ مِنَ الْقِدَمِ فَهُوَ الدِّنْدِنُ (٢ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

اَلسَّالُ يَغْشَى رِجَالًا لَا طَبَاخَ بِهِمْ كَالسَّيْلِ يَغْشَى اُصُولَ الدِّنْدِنِ الْبَالِي (٣

(وَيُرْوَى : لَا خِلَافَ لَهُمْ . وَيُرْوَى : يَرْكَبُ اَصْلَ (٤)، فَاِذَا كَثُرَ الْكَلَأُ وَكَثُفَ قِيلَ : اَصَارَتِ الْاَرْضُ . وَلِاَرْضِ بَنِي فُلَانٍ صَيُودٌ اِذَا كَثُرَ الْكَلَأُ فِيهَا ، وَكُلُّ حُطَامِ شَجَرٍ وَاَحْرَارٍ مِنْ اَحْرَارِ الْبَقْلِ وَمِنْ ذُكُورِهِ فَهُوَ الدَّرِينُ اِذَا قَدُمَ وَكَثُرَ . قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ :

وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ بِذِي اَرَاطَى تَسُفُّ اَبِلُهُ الْخُورَ الدَّرِينَا (٥

(تَسُفُّ الدَّرِينَ لَا تَجِدُ غَيْرَهُ مَرْعًى)، وَيُقَالُ لِيَبِيسِ الْبَقْلِ

---

١) ورد في اللسان في مادة حبب : قال ابو زياد : اذا تكسّر اليبيسُ وتراكم فذلك الحبَّةُ . رواهُ عنهُ ابو حنيفة (قال) وانشد قول ابي نجم يصف إبلَهُ :

تَبَقَّلَتْ من اوّل التبقّل في حبّةٍ جرفٍ وحمضٍ هيكل

٢) وفي الاصل : الديدن . وهو تصحيف . وروى صاحب اللسان عن الاصمعي انَّ الدِّندن يحتمل ان يكون من الصوت ومن الدّوران . وهو ما بَلِيَ وَاسودَّ من النبات والشجر . وخصَّ به بعضهم حُطامَ البُهمى اذا اسودَّ وقدُم وقيل هي اصول الشجر البالي

٣) البيت لحسّان بن ثابت . وقولهُ (لا طَبَاخ بهم) اي حمق لا إدراك لهم

٤) هذه الرواية من غير الكتاب . ويروى : يغشى أُناسًا

٥) البيت من معلّقة ابن كلثوم . ذو أُراطى ويقال ذو أُراط ماء بقربهِ كانت موقعة شُدَّ من ايّام العرب . والمِلَّة المسانُّ من النوق . وفي الاصل : المثلة . وهو تصحيف . والخُور النزيرة الالبان . يقول حبسنا وانثنا في هذا الموضع وطال مُكثنا فيهِ لاعانة قومنا حتّى أُحوجت النوق الكثيرة اللبن الى أكل يبيس النبت

وَحُطَامِهِ ٱلسَّفِيرُ لِأَنَّ ٱلرِّيحَ تَسْفِرُهُ[1]، وَيُقَالُ لِأُصُولِ ٱلشَّجَرِ ٱلْبَالِي ٱلْجِثْنُ وَلَيْسَ مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلضِّخَامِ[2]، وَٱللُّمْعَةُ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْكَثِيرَةُ ٱلْكَلَإِ. (قَالَ) وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ ٱللُّمْعَةُ فِي ٱلْحَلْيِ خَاصَّةً، وَٱلْعُقْدَةُ وَٱللُّمْعَةُ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْبُقْعَةُ ٱلْكَثِيرَةُ ٱلشَّجَرِ[3]. (قَالَ) وَمِمَّا نَحْمِلُ عَلَى مُقَابِلِ[4]:

خَلَعَ ٱلسُّلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ شَجَرُ ٱلْمُرَى وَعُرَاعِرُ ٱلْأَقْوَامِ[5]

(وَٱلْعُرَاعِرُ ٱللَّفْظُ ٱلشَّدِيدُ وَٱللَّفْظُ عَلَى ٱلْوَاحِدِ وَٱلْمَعْنَى عَلَى ٱلْجَمِيعِ)، وَٱلثُّغَا (مَهْمُوزٌ ٱلْوَاحِدُ ثُغَأَةٌ) وَهُوَ مِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْقِطَعُ ٱلْمُتَفَرِّقَةُ، وَٱلشُّجَرُ أَوْسَاطُ ٱلْوَادِي وَمَا فِيهِ مِنْ نَبْتٍ (ٱلْوَاحِدَةُ شُجَرَةٌ). قَالَ ٱبْنُ مُقْبِلٍ [تَمِيمٌ]:

وَٱلْعَيْرُ يَنْفَحُ فِي ٱلْمَكَانِ قَدْ كَبِنَتْ مِنْهُ جَحَافِلُهُ وَٱلْبَضْرِسِ ٱلشَّجِرِ[6]

---

١) تَسْفِرُهُ اي تكنسهُ كما تكنس الترابَ

٢) وفي اللسان: انَّ الجِثْن اصل كلّ شجرة الّا شجرة لها خشبة. وعن الازهري انّ كلّ شجرة تبقى أُرومتُها في الشتاء من عظام الشجر وصغارها فلها جِثْن في الارض وبعد ما يُقْتَع فهو جِثْن حتّى يُقال لأُصول الشوك جِثْن

٣) قال ابن منظور العُقْدة الارض الكثيرة الشجر وهي تكون من الرمث والعَرْفج وانكرها بعضهم في العَرْفج والجمع عُقَد وعِقاد

٤) جاء في اللسان في مادّة عَرَا انّ هذا البيت يروى لشُرَحْبيل بن مالك يمدح معدي كرب بن عكب. (قال) وهو الصحيح (راجع شعراء النصرانية ص ١٨٠)

٥) المُرَى جمع عُرْوَة وهو من الشجر ما لا يسقط ورقُهُ في الشتاء مثل الاراك والسِّدْر يلتجئُ الناس اليهِ لرعي مالهم في السَّنة المُجدبة. ضربهُ مثلًا للقوم الذين يُنْتَفَع بهم. والعَرَاعِر جمع عُرَاعِر (وكلاهما يجوز هنا) اراد به سوقة الناس ورعاعهم

٦) يصف عَيْرًا اي حمارًا ينفح في المكان اي يضربها بحافره. والمكان شجرة صغيرة غبراء من نبات الربيع. ويروى: المكان بالباء. وهو تصحيف. وقولهُ (كَبِنَت جحافلُهُ) اي لصقت بهِ لضربتهِ وتلبّدت. ويروى: كَبَت. وهو تصحيف. والجحافل جمع جحفلة وهي شفتهُ. والبضرس ضرب من البقل غضّ رَطب وقيل انهُ شجر الحِنْطِيّ (راجع اللسان في المادّة)

(هٰكَذَا قَالَ: ثُجَرٍ بِضَمِّ ٱلثَّاءِ. وَٱلثَّجَرُ ٱلَّذِي قَدْ تَمَّ. قَالَ: (لَمْ) أَسْمَعْهُ إِلَّا هَا هُنَا وَٱلْمِضْرِسُ شَجَرٌ إِلَى ٱلسَّوَادِ. وَٱلْمَكْنَانُ مِنْ خَيْرِ ٱلنَّبْتِ. وَكَتَّتَ لَزِجَتْ وَحَسُنَتْ جُحَافِلُهُ حَتَّى ٱسْتَبَانَ أَثَرُهُ فِيهَا) (سيأتي البقية)

في الروايات الخيالية

للاب اميدي لوريول اليسوعي

ان دخلت ايها القارئ اللبيب الى مخدع بعض الخواص ممن عُرفوا بين القوم بالرجاهة ونفوذ الكلمة لعلك تلمح بين اثاث الدار المبثثة على الثروة خزانةً نُضِّدت فيها عدة كتب بوسم المطالعة. تلك هي مكتبة العائلة

فان سرحت الطرف في هذه التآليف او تصفحت على الاقل اسماءها ربما لم تعثر على مصنفات تاريخية او ادبية او علمية امَّا الروايات الخيالية فلعلها ترى هذه الكتاب خالية منها. ولعلها في الغالب هي وحدها المجموعة فوق رفوفها. او اذا كانت كتب الروايات مختلطة بغيرها من التآليف فترى ما سواها حسن التجليد نظيف الورق كأنها لم تمسَّها بعدُ ايدي القرَّاء. بخلاف الروايات فانك تراها يملوها الدَّرَن ممزقةً مخرَّقة منتثرة الاوراق لتداول الايدي لها ولاقبال المطالعين عليها. فحسبك بذلك دليل على خطارة مسألة الروايات الخيالية

ويغلب على ظننا ان لهذه المطلب في الشرق اهميَّةً تختصُّ به دون الغرب كما سنبيِّن فللروايات عند اهله فعلٌ عجيب اذ تعمل هذه القصص المختلفة في قلوبهم عمل الراقي بسحره فتفتنها وتخلب سويداءها وربما اصبحوا اشبه بالفراش المتهافت على السراج فيحترق به او كالطير الذي يرى الحيَّة فيلقي بنفسه في لهواتها

فهذا ما حدانا الى البحث في الروايات الغربيَّة ليكون اهل بلادنا على بيِّنة من امرهم ويأخذوا من مضارِّها حذرهم

في اصل الروايات الخيالية وتاريخها

واوَّل ما يجب هنا عنهُ البحث ما هو اصل الروايات الخيالية وتاريخها. الَّا انَّ في

تفصيل ذلك مجالاً رحباً لا يسعنا الخوض فيه وانما نجتزئ بذكر بعض فوائد تُطلع القرّاء على خلاصة الامر

انَّ الرواية كما يدلُّ عليه اسمها ليست في الاصل سوى واقعةٍ او حادثٍ يرويه القوم اي يتناقلونهُ بينهم سواء كان موضوعها صحيحاً صادقاً او مُختلَقاً. وربَّما أُطلق اسم الرواية على الاقاصيص الخرافية التي يبتكرها الكتبة لتفكيه المخيّلة وهو المراد في معرض كلامنا في هذه المقالة

والفرنج يدعون مثل هذه الروايات باسم الرومان (roman) نقلاً عن اللُّغة العامّية القديمة المعروفة باللغة الرومانية (langue romane) لانَّ هذه القصص اكثر ما كانت تُروى في هذه اللهجة العامّية فمنها ما كان تاريخيًّا واقعيًّا كرومان دي بون (roman de Bon) ومنها ما كان اختراعاً بحتاً كعدّة اقاصيص تُعزى لشارلوس الكبير ملك فرنسة اسمها (romans de la Table-Ronde) ومنها ما كان على صفة رَمز او مثل كرواية الوردة (le roman de la Rose) وقد اتى منها بعضها على طرز هجاء كرواية الثعلب (roman du Renard)

ومهما كان من امر اسم الرواية فانَّهُ لا يشكُّ احد في انَّ اصلها قديمٌ جدًّا والاحرى ان نقول انَّ الانسان منذ ظهوره على الارض لا يزال يطمح ببصره الى غرائب الاحوال وعجائب الامور فهو مطبوع على ذلك بالفطرة يأنس بمثل هذه الوقائع المبتكَرة ويصرف اليها خيالهُ ويخترعها ليسرَّ بها ابناء جلدته

واقدم ما بلغ الينا من هذه الروايات تراهُ على هيئةٍ شعريَّة ومقيَّدة بالنظم كما يصدق ذلك في بقيَّة المصنفات العقلية العريقة في القِدَم فانَّها جميعاً محلاَّة بايقاع النظم لتتشنَّف بها الآذان وتنطبع في الذاكرة. امَّا ما كان مَنثورًا من هذه الروايات فلا يرتقي الى زمن قديم. وقد بيَّن المؤرّخون انَّ الروايات الحماسيّة القديمة وما شاكلها ممَّا لا يعرف الآن الَّا نثرهُ كان في سالف الازمان مرويًّا بالشعر

وهذا امرٌ يصحُّ تبيانهُ في تاريخي الغرب والشرق معاً. فانَّ للهنود والصينيّين مجاميع ضخمة من الروايات الحماسية الخيالية وكلها بالشعر يبلغ بعضها ما ينيف على عشرين الف بيت من النظم. وكذا قل عن الفرس الاقدمين وعن العجم كما ترى في كتاب الملوك (شاه نامه) للفِرْدَوْسي. ولا نظنُّ ان العرب شذُّوا عن هذه القاعدة العمومية وفي نجعاتهم

ودواوينهم القديمة شاهدٌ على ذلك كما ترى في قصائد الهلهل وغيره

وكان لليونان كَلَف بالروايات الخيالية وليست قصائد اوميروس البليغة في أشيل وعُوليس سوى صنف من الحكايات الغزلية التي تستند الى بعض حوادث تاريخية . وكأنها بالشعر ايضاً . واوّل رواية خيالية وردت عندهم في النثر اذا استثنينا امثال ايزوب (ايمان) اسمها « في غرائب ما وراء تولة » مدارهُ على خبر اسفار عجيبة كاسفار السندباد البحري . وفي العصر التالي صنّف أريستيد الملطي الأقاصيص الملطية وهي حكايات غزلية مثانية للآداب كَلِف بها معاصروهُ . وجاء بعدَهُ غيرهُ من الكتبة فسلكوا مسلكهُ في صقلية وقد ذهب الدهر بكتبهم غير مأسوفٍ عليها الّا ان الكتّاب الرومانيين كارتيفيوس ولوسيان وأكريلة نقلوا عنها في تآليفهم في آخر عهد الجمهورية الرومانية

امّا الرومانيون فلم يبرعوا بتصنيف الحكايات الخيالية ولا يُذكر لهم غير حكاية بسيخي (Psyche) وتآليف بترون وكلُّها موسوم بالخلاعة وسوء الآداب تنطق باسان حالها عمّا جُبل عليه اهل ذلك الزمان من القبائح والرذائل . وقد جاء بين كتبة عصرنا من مثالهم دعارةً وقبحاً وقانا الله من شرهم

هذا ولمّا صارت الدروس اليونانية الى انحطاط وتقهقُر نما فيها عدد كتبة الروايات التخيُّلية . فكتب ألسيفون وأرستيتيت روايات على شكل المراسلات . وبين اعمال ديُون كاسيوس بعض من هذه التصانيف لا تخلو من دقّة وحسن تصوُّر . وتوفّرت بعدئذٍ كتُب الروايات حتّى شاعت في كل انحاء بلاد اليونان ولا حاجة لتعداد كلّ هذه التصانيف التي لا طائل كبير تحتها كروايات رادام وسيمونيس ولوسيب وغيرهم . ثمّ سكنت حركة هذه المؤلّفات مدّة ستة اجيال فتناساها القوم وشُغلوا بشواغل أخر ثنتْ بالعقول الى ما هو انفع لها وانسب بمقامها (ستأتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وربّما كان مولد زين الدين بن علي في اواخر أيام والده علي المذكور حتى طابق